Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيقال : قد نظم ألفاظا فأحسن نظمها ، وألف كلما فأجاد تأليفها ، جعل الألفاظ الأصل فى النظم وجعله يتوخى فيها أنفسها ، وترك أن يفكر فى الذى بيناه[1] » .

وعبد القاهر يعترف بأن فى الأمر شبهة ، ولا ينكر قيمة الألفاظ جملة ، إنما يريد أن يحدد مكانتها فى النظم . ويقر كل القرار من أن تكون المزية البلاغية فى اللفظ وحده ، أو فى اللفظ من حيث هو حروف وجرس وصوت ، وإلا بطل الإعجاز فى القرآن اذا أتى المعارض بألفاظ تشبه ألفاظ القرآن عن طريق المحاكاة وهو لا ينكر كلام القدماء إذا قسموا الفضيلة البلاغية بين اللفظ والمعنى فقالوا » معنى لطيف ولفظ شريف » لأنهم يريدون ترتيب الألفاظ حسب ترتيب الفكرة ، ومع التجوز حذفوا « الترتيب » فقالوا:« اللفظ والفكرة » أو « اللفظ والمعنى » فاذا قالوا بعد ذلك « لفظ متمكن » أرادوا أن معناه غير ملائم لما يليه ، ولما سبقه وإذا قالوا لفظ قلق ناب ، فهو غير مطمئن فى موضعه[2] .

أما قول أنصار اللفظ إن أبوابا كثيرة من أبواب الأداء الأدبى ترجع مباشرة إلى اللفظ كالسجع والترصيع والطباق والتجنيس ، فقول يتكفل « عبد القاهر » بالرد عليه فى كتابه « أسرار البلاغة » ويعرضه فى جدل المقتنع ، بل فى جدل الرجل الدينى الذى ينافح عن غاية بعيدة هى إعجاز القرآن . فكل هذه المحسنات « لا يرجع الحسن والقبح فيها إلى اللفظ والجرس ، بل إلى ما يناجى العقل والنفس » فالتجنيس مثلا لايستحسن إلا إذا كان موقع اللفظين من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، فاذا استضعف النقاد واستضعف معهم « عبد القاهر » تجنيس أبى تمام فى قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واذا استحسن عبد القاهر التجنيس فى قول القائل « حتى نجا من جوفه وما نجا »[3] وفى قول أبى الفتح البستى :

---

(١) دلائل الإعجاز صفحة ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٢) دلائل الإعجاز صفحة ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٣) فى طبعة الشيخ رشيد رضا (خوفه) بدلا (جوفه) .
أسرار البلاغة صفحة ٤ هامش ٣ .